يَمُوتُ الهوى مِنّي

[الطويل]

ألا لَيتَ رَيعانَ الشَّبابِ جَديدُ،
ودَهراً تَولّى، يَا بُثَيْنَ، يَعودُ

فنَبْقى كمَا كُنّا نَكونُ، وأنتمُ
قَريبٌ، وإذ مَا تَبذُلِينَ زهِيدُ

وما أنسَ، مِ الأشياء، لا أنسَ قولها
وقد قُرّبتْ نِضوي: أمصرَ تريدُ[1]؟

* * *

ولا قولَها: لولا العيونُ التي تَرى،
لَزُرتُكَ، فاعذِرْني، فدَتكَ جُدودُ

خليليّ، ما ألقَى من الوجدِ باطنٌ،
ودمعي بما أُخفي، الغَدَاةَ، شَهيدُ

ألا قد أرى، واللَّهِ، أنْ رُبّ عَبرةٍ،
إذا الدارُ شَطّتْ بَيْنَنا، ستَزِيدُ[2]

---

(١) قُربت نضوي: ناقتي الهزيلة؛ وقد قرَّبتها منها فسألتني عن شعري وقصدي أمِصْر تريد؟!. ورد البيتان الأولان في الأغاني ٨: ١٠٣، وجاء في البيت الثاني «فنغنى» بدلاً من «فنبقى».

(٢) شَطّت: بَعُدَتْ؛ وهذا البعد يزيد من عبراتي ودموعي. وردت هذه الأبيات الثلاث في الأغاني ٨: ١٠٣ـ ١٠٤.

إذا قـلـتُ: مَـا بـي يَـا بُـثَـيْـنَـةُ قـاتِـلِـي،
مِـنَ الـحـبّ، قـالـت: ثـابـتٌ، ويـزيـدُ[١]

وإن قـلـتُ: رُدّي بـعـضَ عَـقـلـي أعِـشْ بـهِ!
تـولّـتْ وقَـالَـتْ: ذاكَ مـنـكَ بـعـيـدُ!

فَـلا أنَـا مَـرْدودٌ بـمـا جـئـتُ طـالـبـاً،
ولا حُـبُّـهَـا، فِـيـمَـا يَـبِـيـدُ يَـبـيـدُ[٢]

جَـزَتـكِ الـجـوازي، يـا بُـثـيـنَ، سـلامـةً،
إذا مَـا خَـلـيـلٌ بـانَ وَهـوَ حَـمـيـدُ[٣]

وقـلـتُ لـهـا: بَـيـنـي وبـيـنـكِ، فـاعْـلَـمـي،
مِـنَ الـلَّـهِ مِـيـثـاقٌ لَـهُ وعُـهـودُ

وقَـد كـانَ حُـبِّـيـكُـمْ طَـريـفـاً وتـالـداً،
ومَـا الـحُـبُّ إلّا طَـارِفٌ وتَـلِـيـدُ[٤]

وإنّ عَـرُوضَ الـوصـلِ بَـيـنـي وبـيـنـهَـا،
وإنْ سَـهّـلَـتْـهُ بـالـمُـنـى، لَـكَـؤودُ[٥]

---

(١) ورد البيتان المتواليان في الأغاني ٨: ١٠٤.

(٢) ورد البيت في الأغاني ٨: ١٠٣.

(٣) يُعاتبها على صدودها وعزمها ولا يريد لها إلا الجوازي (المكافآت).

(٤) يذكرها بأن حبّه لها ليس طارئاً، بل قديم متجدّد (طارف وتليد).

(٥) أما السبيل إليْك وإن سَهّلته بعد وعورة (العروض) بِالمُنى، والأماني فإنه كؤود (صَعْب) تعترضه المشاق والمتاعب.

وأفنيتُ عُمري بانْتظارِيَ وَعدَها،
وأبلَيتُ فِيها الدّهرَ وَهوَ جَديدُ[١]

فليتَ وُشاةَ الناسِ، بَيني وبَينها،
يَدوفُ لهُم سُمّاً طماطِمُ سُودُ[٢]

وليتهمُ، في كلّ مُمسًى وشَارقٍ،
تُضاعَفُ أكبَالٌ لهم وقُيودُ[٣]

ويحسَبُ نِسوانٌ مِنَ الجهلِ أنّني
إذا جِئتُ، إيّاهنَّ كنتُ أُريدُ

فأَقسِمُ طَرفي بَينهنّ فيستوي،
وفي الصَّدْرِ بَوْنٌ بَينهنّ بَعيدُ

ألا لَيتَ شِعري، هَل أبيتنّ ليلةً
بوادي القُرى؟ إنّي إذَنْ لَسَعيدُ[٤]!

وهل أهبِطَنْ أرضاً تَظَلُّ رياحُها
لَها بالثّنايَا القَاوِياتِ وئِيدُ[٥]؟

---

(١) ورد البيت في الأغاني ٨: ١٠٣.

(٢) ويتمنى «جميل» أن يبتلى الوشاة بينه وبينها بسُمٍّ في أفواههم مع ما هم عليه من عُجمةٍ في النطق، لأنهم (طماطم سود).

(٣) وليتهم ـ هؤلاء الوشاة ـ تزداد عَلَيْهم القيود صباح مساء، تمنعهم من السعي بالنميمة.

(٤) وادي القرى: قرب المدينة ـ حيث كان يقيم كلاهما: (جميل) و(بثينة). ورد البيت في الأغاني ٨: ١٠٣.

(٥) يصف الوصول إلى (وادي القرى) بالصعبة ذات ثنايا ومنعطفات، خاليات من الإنس، لها (وئيد) ـ رجع صدىً شديد.

وهـل ألـقَـيَـنْ سُـعـدى مـن الـدَّهـرِ مـرّةً،
ومـا رَثّ مِـنْ حَـبـلِ الـصّـفـاءِ جـديـدُ؟

وقَـد تَـلـتَـقـي الأشـتـاتُ بَـعـد تـفـرُّقٍ،
وقـد تُـدرَكُ الـحَـاجَـاتُ وهـي بـعِـيـدُ

وهـل أزْجُـرَنْ حَـرْفـاً عَـلاةً شِـمِـلّـةً
بـخَـرْقٍ، تُـبـاريـهـا سَـواهِـمُ قُـودُ[١]

عـلـى ظـهـرِ مـرهـوبٍ، كـأنّ نُـشـوزَهُ،
إذا جَـازَ هُـلّاكُ الـطَّـريـقِ، رُقُـودُ[٢]

سـبـتـنـي بـعَـيْـنَـيْ جُـؤذُرٍ وَسْـطَ رَبـرَبٍ،
وصَـدرٌ كـفـاثُـورِ الـلُّـجَـيـنِ، وجِـيـدُ[٣]

تَـزيـفُ كَـمَـا زَافَـتْ إلـى سَـلِـفـاتِـهـا
مُـبـاهِـيـةٌ، طَـيَّ الـوشـاحِ، مَـيـودُ[٤]

إذا جـئـتُـهـا، يـومـاً مـن الـدهـرِ، زائـراً،
تـعـرّضَ مـنـفـوضُ الـيـديـنِ، صَـدودُ[٥]

يـصُـدُّ ويُـغـضـي عَـن هَـوايَ، ويـجـتَـنـي
ذُنُـوبـاً عَـلَـيـهـا، إنّـهُ لَـعَـنـودُ!

---

(١) الحرف: الناقة الضامرة. العلاة: الناقة المشرفة. الشّملة: الناقة السريعة الخرق الواسعة تلعب فيها الرياح. السواهم: النوق الضوامر. القود: المذلّلة.
(٢) مرهوب: طريق مخوف. نشوزه: مرتفعاته. الهُلّاك: التائهون الضائعون.
(٣) الفاثور: الطسْت؛ اللُّجَيْن: الفضة.
(٤) تزيف: تتبختر في مشيتها. سلفاتها: نساء إخوة زوجها.
(٥) المنفوض: من أصابته رعشة الحمّى ـ وهنا يعني به زوجها ـ.

فأصرِمُها خَوفاً، كأني مُجانِبٌ،
ويَغفُلُ عَنّا مَرَّةً، فَنَعودُ

ومن يُعطَ في الدنيا قريناً كمِثلِها،
فذلكَ في عيشِ الحَياةِ، رَشِيدُ

يموتُ الهوَى مِني إذا مَا لقِيتُها،
ويحيَا، إذَا فَارقتُها، فَيَعودُ

يقولون: جاهِدْ، يا جميلُ، بغَزوةٍ،
وأيَّ جِهادٍ، غيرهنّ، أُريدُ![1]

لكُلّ حَديثٍ بَيْنَهنّ بشَاشَةٌ،
وكُلُّ قَتيلٍ عندهنّ شَهيدُ

وأحسنُ أيّامي، وأبهجُ عِيشَتي،
إذا هِيجَ بي يَوْماً وهُنّ قُعودُ

تذكَّرتُ ليلى، فالفؤادُ عَميدُ،
وشطّتْ نَواهَا، فالمَزَارُ بَعيدُ[2]

عَلِقْتُ الهوَى مِنها وَليداً، فلم يَزَلْ
إلى اليومِ يَنمي حُبُّها وَيَزيدُ[3]

فما ذُكِرَ الخُلّانُ إلّا ذكرتُها،
ولا البُخلُ إلّا قلتُ سَوفَ تجودُ

---

(١) ورد البيت في الأغاني ٨: ١٠٤.
(٢) فالفؤاد عميد: قد هدَّه العشق.
(٣) ورد البيت في الأغاني ٨: ١٠٣.

إذا فـكّـرتْ قـالـت: قـد أدركـتُ وُدَّهُ،
ومـا ضـرّنـي بُـخـلـي، فـكـيـف أجـودُ!

فـلـو تُـكـشَـفُ الأحـشـاءُ صـودِف تـحـتـهـا،
لِـبَـثْـنَـةَ، حُـبٌّ طـارفٌ وتَـلِـيـدُ

ألَـمْ تـعـلـمـي يـا أُمَّ ذي الـوَدْعِ أنّـنـي
أُضـاحِـكُ ذِكـراكُـمْ، وأنـتِ صَـلـودُ[1]؟

فـهـلْ ألـقَـيَـنْ فَـرداً بُـثَـيْـنَـةَ لـيـلَـةً،
تـجـودُ لَـنَـا مِـنْ وُدّهـا وَنَـجـودُ[2]

ومـن كـان فـي حـبـي بُـثـيـنـةَ يَـمـتـري،
فـبَـرقـاءُ ذي ضـالٍ عـلـيَّ شَـهِـيـدُ[3]

---

(١) الوَدع: ـ بفتح الدال ـ خرز بيض (صَدَف) تخرج من البحر، لها شِقّ كشق النّواة، تعلَّق في عُنق الولد، لتدفع عنه الحسد. [تستخدمها أيضاً: ضاربات الوَدَع ـ المبصِّرات ـ] كما يزعمن!! الصلود: النحيلة جداً.
ورد البيت في لسان العرب ٣: ٢٥٧ مادة (صلد) «ومكان صلد: صلب شديد، وامرأة صَلود: قليلة الخير؛ قال جميل... وقيل: صَلود ههنا صلبة لا رحمة في فؤادها». وورد أيضاً في ٨: ٣٨١ مادة (ودع) «وذو الوَدْع: الصبي لأنه يُقلّدها ما دام صغيراً؛ قال جميل: ...» ويروى «أهش لذكراكم».

(٢) ورد البيت في الأغاني ٨: ١٠٣.

(٣) يَمْتري: يشك ـ من كان يشُكّ في حُبّي لـ«بثينة» [فبرقاء ذي ضالٍ عليّ شهيد] اسم مكانٍ كانا يجتمعان فيه ويلتقيان.
والبرقاء: أرض غليظة تختلط فيها الحجارة بالرمل والطين. والضال: شجر (السِّدْر البرّي).
ورد البيت في الأغاني ٨: ١٢٨.